

نافذة

د. نجاح الطاهر... هورتان عن قرب

الشيء الذي لم أكن أحلم به هو أن ألتقي السيدة البيان والبلاغة والأدب، السيدة الأدبية الدكتورة نجاح الطاهر، فمذ بدأت أحبو في عالم القراءة والأدب كان اسمها يتردد في سمعي، وكان حضورها الأسر يأخذني، وإذا ما تحدثت الدكتورة الطاهر كتابة أو ارتجالاً كان عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين يقفز إلى مخيلتي، كلاهما فصاحة وبيان أسر، وإن كانت الدكتورة الطاهر أكثر سعيًا وراء اللغة المجنحة العالية، وقد تابعت كما كبيراً من كلماتها، بما فيها الكلمات الرسمية، ولم أجد يوماً أن الكلمة موجهة لمناسبة بقدر ما هي خطاب لروح الإنسان.. أول مرة رأيت الدكتورة الطاهر كانت قبل أكثر من ربع قرن، كنت يومها أمضي أسراً بجانب مشفى الطلياني، قرأيتها تنزل من سيارتها، وهناك جمهرة من الناس بانتظارها، تبعتها وتركت موعدي، فإذا بها تدلف إلي قبو يفتتح على صالة جميلة وراقية، جالت الدكتورة الطاهر في أرجاء معرض الفنان الذي التقيت به لأول مرة، ورحبت أقرب اللوحات المعلقة حتى غادرت السيدة الوزيرة يومها الصالة، وبقيت أستمتع باللوحات والضيافة، ومنذ ذلك اليوم بدأت علاقتي بغازي الخالدي (أبو الود) رحمه الله، بل بدأت علاقتي بالفن التشكيلي وتدوّه.. عرفت من الخالدي، ومن الفنانين الذين ارتبطت معهم بعلاقة ما بين الصداقة والعلاقة العابرة، أن السيدة الوزيرة تحضر المعارض في الأغل، وتقنتي اللوحات، وتؤمن حاجات الفنانين، وسعت لازدهار نقاباتهم، ورفع سعر اللوحة إلى مرتبة مقبولة.

وفي عام ١٩٩٨ زرت القاهرة أول مرة، وهناك التقيت عدداً من كبار مثقفي مصر، فأنهالت الإشادات بما قدمته السيدة الوزيرة، من جمال الغيطاني، ويوسف القعيد، وغيرهما من الأبناء الكبار الذين صاروا على علاقة قوية بسورية ومتقفيها وثقافتها بسبب ما لقوا من احترام عال للمثقف.. وتكرر الأمر عندما التقيت الشاعر المعصم مصطفى جمال الدين صاحب الديوان، والباحث اللغوي الذي عزز كل ما سمعته من السيدة الأدبية وما تحمله للثقافة، والذي عاد بدوره على سورية العظيمة بفوائد كبيرة لانزال نحصده نتائجه إلى اليوم.. وعلاقته بلبنان، والتي نشرتها في كتاب منذ مدة بسيطة كنت سمعت عنها من الشاعر جوزيف حرب، الشاعر الذي أحب سورية وغناها وتغنى بها، وبقي مخلصاً لها حتى رحيله، ومن الأسباب التي جعلته مع سورية بهذا الشكل السيدة الدكتور نجاح الطاهر التي قدرت أديبه وشعره، وتعاملت معه برقي وأدب قل نظيرهما.

أما الصورتان اللتان أقف عندهما، فهما خاصتان بالشاعر العربي الكبير محمد مهدي الجواهري، وأنا بحكم السن أنتمي إلى الجيل الذي شهد، وإن من بعد، عن طريق الإعلام، تلك الحركة الشعرية والثقافية التي كانت في سورية في الثمانينات، ولا أعلم إن قلت: إن الجواهري أبو الفرات، وشعره كان في المكانة الأولى والأكثر نشاطاً.

الزمان: مساء وقيل مغيب شمس الجواهري المكان: مكتبة الأسد الوطنية بدمشق

الحديث: تكريم الشاعر الجواهري منزل الجواهري من سيارته متعباً ومرتبباً، يحمل منديله بيده، وتستقبله على الباب الخارجي السيدة الوزيرة، وتحققي به كما يلبق بشاعر غنى العربية والعراق والشام وبراع، وقاوم المستعمر وفرعه... في تلك الأمسية تمكنت من مصافحة الجواهري، الشاعر الذي رددت أشعاره في مقاومة المستعمر في مناهجنا القديمة التي حفلت بعيون القصاص الشعرية.. كانت أسبسية كالحلم في الذاكرة، لكنها راسخة بالكلمات القليلة التي سمح بها المرض، وأذنت بها السن للشاعر الكبير، الذي عشق الشام لا زلفي ولا ملقا.

والاحترقا بالجواهري لم يكن احتقاراً بروتوكولياً كما قد يفعل الكثيرون، فكما كرمته سورية، كرم سورية، وكما قدمت له، استطاعت السيدة الدكتورة أن تستخرج منه ما يفيد سورية ووزارتها وثقافتها، فقي سورية، وعلى مطابع وزارة الثقافة صدر ديوان الجواهري في أفضل طبعاته وأصفاها، وهل أجمل من أن يكون للجواهري طبعة سورية، صنعت على عينه وبإشرافه ورعاية الأبيبة الطاهر وتقديمها؟!

وفوق ذلك استطاعت الرعاية الميزة أن تحقق الاستقرار للجواهري، وهو وحده بين الشعراء من يقدر على ذلك، لأنه من الرتبة المقاربة لشاعر الحماسة أبي تمام، فكما تقول الرواية، حبس أبو تمام بسبب عوارض الطبيعة فأنجز حماسته التي اختلطت منهجا من الاختيارات والحماسات من التصنيف العربي، حتى صار كل من اختار له أبو تمام يدعي بالشاعر الحماسي، وما هو الجواهري بعد أن أنجز ديوانه، وأصدره بعناية أستاذنا الراحل عدنان درويش المحقق والعالم، يتفرغ لإنجاز مشروع، لم ينجز منه سوى جزءه الأول، ولكن اكتمل المشروع الثقافي لكان من أهم منجزات الشعر العربي الحديث والتأليف فيه، وأعني هنا (جمهرة الجواهري).

لست أبرى من أقنعتي يوماً أن شعر الجواهري صعب ولا يقرأ، وليس من دواعي للقيام بشراجه، مع أنني كنت أجمع ما تيسر لي من كتب ودواوين قديمة وحديثة، وعندما سارت لاقتنائه، لم أجد منه سوى جزء، وحصلت نسخة من ديوان الشاعر القروي رشيد سليم الزكري، الذي اعتدت به السيدة الوزيرة كذلك، وحصلت على الجمهرة في الجزء الأول على أمل متابعتها، لكن الجمهرة لم تكتمل، ولم تجد محاولاتي في إتمام ديوان الجواهري الذي بقي غصّة لدي، فأنا أتم بشهاميات وسوريات كل من عشق الشام، وكان هواه شامياً بالانتساب أو بالفكر.

الزمان: صباح دمشق يغطي الندى المكان: مكتب ثقافة وأدب بدمشق

الحديث: اكتمال لقائي بالجواهري قبل أسبوعين تكرمتم بقاء الدكتورة نجاح الطاهر، ورحلت أنهل من لغتها ومفرداتها وأبها، ودارت أحاديث كثيرة حول الشعراء والأدباء، وناقشت معي بعض القضايا المتواضعة التي أثيرها، وطأنتني إلى أن ما أكتبه يلقي عنياتها، وفي ذلك اليوم كرمتمني بالواقفة على حضور أولى ندوات الأربعا الثقافي عن خير الدين الزركلي، وهي المعنية به، وقد حاووته في بيروت عام ١٩٦٩، وساعدني في إقناعها الدكتور ماجد العظمة الذي أثنى على هذا الجهد، وأحمل عباراته نبينا عندي.. قلت لها: كان بودي أن أتحدث عن شاميات الجواهري، لكن ديوانه غير مكتمل لدي.. وودعتها.

في الزمان الذي تطلبني الأبيبة الدكتورة نجاح الطاهر نائب رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية، ولا أعرف السبب، وعندما شرفت بلقائها ولقاء الدكتور ماجد العظمة، ونجلهما الدكتور وأهل، قالت لي: أمنت لك ديوان الجواهري، لأنك ستقرأه وتستحقه.

كنت سعيداً بالديوان كما لم أسعد باقتناء كتاب، فهو من النادر، ومن المؤكد أن السيدة الدكتورة بذلت جهوداً للحصول عليه. صورتان عن قرب، وبعض الحواشي أجدي أمرع إلى تدوينها للدلالة على أهمية المثقف والثقافة، وليس للتدليل على نبل الأبيبة الدكتورة الطاهر، فنيلها ونيل اختياراتها لتكون وجه سورية الثقافي لا يحتاجان إلى دليل، فلتبني وجهها مشرقاً للثقافة السورية والإنسان السوري، وهذا الوجه الثقافي كليل بعودة سورية، لأن الثقافة أول الاحتياجات والعلاج الوحيد مما نحن فيه.

إسماعيل مروة

وفيق الزعيم.. المتطرف بحب دمشق

حجز حيزاً في ذاكرة الناس بعفويته وصدقه وموهبته وحضوره اللافت



تجاوز التهميش الذي تعرض له سنوات طويلة ولم يعرف الاستسلام ولم يعرف الضعف

| وائل العديس

قبل ثلاثة أعوام، وبعد معاناة طويلة مع المرض، غيب الموت الفنان الكبير وفيق الزعيم فنرجل بكرأ متأثراً بسرطان الكبد الذي أنهكه وغيبه عن الأضواء حيث لم يكمل بعد عامه الرابع والخمسين.

وابتعد الراحل عن الشخصية الأشهر التي أداها خلال مسيرته الفنية بشكل قسري، وهي شخصية «أبو حاتم» في مسلسل «باب الحارة» بأجزائه الخمسة، بعد انتشار المرض في جسده ما دفعه للاعتذار عن العمل في جزأيه السادس والسابع، علماً أنه قال إنهما من أهم الأدوار التي قام بها في حياته المهنية.

وبدا المرض واضحاً على وجهه الشاحب، لكنه كابر على نفسه واستطاع إكمال شخصيته في الجزء الثاني من «طاحون الشهر» عام ٢٠١٢.

ولد الزعيم عام ١٩٦٠ في مدينة دمشق، وشارك في العديد من الأعمال المسرحية والسينمائية ولعب أدواراً مهمة في المسلسلات التلفزيونية، رغم تخرجه في معهد الفنون التشكيلية.

تحصل على الكثير من الجوائز منها جائزة الإبداع الذهبية في مهرجان القاهرة، وجائزة الإبداع الفضية كأفضل عمل اجتماعي في مهرجان القاهرة وجائزة الدولة التقديرية في مهرجان القاهرة.

كما كانت لوفيق الزعيم أعمال إذاعية منها «شخصيات روائية»، و«حكم العدالة»، «ظواهر دمشقية»، أما في السينما فقد اشتهر بعملين هما: «الطحاب» عام ١٩٩١ و«سحاب» عام ١٩٩٢.

أدوار متنوعة

امتلك الزعيم حضوراً مميزاً في الحياة وفي التمثيل فقدم عبر سنوات طويلة أدواراً درامية متنوعة وغنية واستطاع من خلالها أن يحجز حيزاً في ذاكرة الناس ومكاناً خاصاً به في الدراما السورية بعفويته وصدقه وموهبته العالية إلى جانب حضوره اللافت في الإذاعة والمسرح والسينما.

وعانى «أبو براء» تهميش موهبته لسنوات من المخرجين التلفزيونيين خاصة في الفترة ما بعد منتصف التسعينيات مع بداية تطور الدراما السورية حتى أعاد المخرج بسام الملا اكتشافه من جديد في مسلسل «باب الحارة».

ويقر كل من عرف الفنان صاحب شخصية «أبو حاتم» عن قرب بأنه إنسان يفيض بالحلم للوطن

| جورج شويط

على هامش مهرجان خطوات السينمائي الدولي للأفلام القصيرة أقيمت ندوة عن فيلم «سارق النور» للمخرجة إيفا داود. بحضور وإدارة الكاتب الدرامي حسن م يوسف. تقطفت ومضام مما تحدثت به المخرجة وما تناوله الكاتب الناقد حسن م يوسف.

المخرجة إيفا داود قالت: هذا أول عرض لي في سورية وتحديدأ في اللاذقية.

فيلم سارق النور أخذمني وقتاً طويلاً من التفكير حتى قمت بإنجازه.

السينما طريق الحياة. ولست مع سينما وضع الحلول.

الفيلم يتحدث عن (شغف الحب) وهو أهم من (الحب).

حين نحب (حالتها) يمكن أن نعيش أطول وأسعد.

استخدمت الأوركسترا الحية كموسيقا، وأعتقد أنه أول فيلم عربي يستخدم موسيقاً لاييف كهذا.

السينما هي السينما. هي متعة المشاهدة البصرية، واقتضت العملية في الفيلم أن تذهب إلى نوع من الخدع السينمائية المشوقة.

لقد اعتمدت على الحوار الخفيف. ومكان الحوار كنت أقوم بملهة موسيقياً، وعلى امتداد الفيلم لم يكن هناك سوى ٧ جمل

والناس ولكل شيء جميل في الحياة وهذا أول ما يمكن للشخص ملاحظته في الراحل الكبير من خلال ائتماسه الوقورة وكلماته الجميلة التي تعبر عن رقيه الإنساني وثقافته الغزيرة في الفن وفي مختلف مناحي الحياة.

لم يعرف الراحل الاستسلام يوماً كما أنه لم يركن للضعف والكسل، فواظب على العمل في كل المجالات التي كانت متاحة أمامه رغم مقاطعة أغلب المخرجين له لفترة طويلة وعدم تقديم الأدوار الأولى له بما يتوافق مع موهبته التمثيلية المميزة، فمثل في الإذاعة والمسرح وتعلم المكياب وتصنيف الشعر والديكور إضافة لمعرفته بالموسيقا والرسم، ما شكل نموذجاً للفنان المناضل وخصوصاً في السنوات الأخيرة التي عاشها بمزيج من العمل الجهد والغزير ونشوة التحاق مع معاناة ألم المرض حتى الرحيل.

حكاية خاصة

أما دمشق فلها حكاية خاصة في قلب الزعيم، فقد كان يعترف أنه متطرف لها بالمعنى الإيجابي على أنها عشقه وحيامه، وكان يتمنى أن يمد الله بالعمر ليعفيها بعضاً من حقوقها عليه، لكن الموت كان أسرع.

على خشبة

شارك الزعيم في العديد من المسرحيات أهمها: «المفتش العام»، و«رؤى سيمون ماشار»، و«الاستثناء والقاعة»، و«حكاية زهرة الحفارة»، و«مصراع عام»، و«ماريانا بينيدا».

ولم تكن خشبة المسرح غائبة يوماً عن ذهنه، لكنه كان اعترف في حوار له مع «سانا» أنها تعاني أزمة على الرغم من وجود بعض الأعمال الجديدة، لكنها أعمال فردية قانصة على جهود شخصية، مبيماً أن نهضة المسرح تقتزن بالانتماء بالأنشطة المسرحية في مختلف الفعاليات الاجتماعية من مدارس وجامعات ومنظمات شعبية ومسارح هواة وغيرها من الجهات المختلفة وهذا وحده كفيلاً بتحقيق نشاط مسرحي فعال.

الشاشة الصغيرة

في التلفزيون كانت لوفيق الزعيم المشاركات الأهم التي استطاع من خلالها التميز والدخول في عقل وقلب المشاهد العربي، عبر أدائه التمثيلي المقتن واختياره

أعمال هادفة تحمل مضموناً ورسالة سامية إلى المجتمع العربي، وكذلك من خلال تجسيد أدوار تعكس الواقع السوري والعربي على حد سواء.

بدأ التمثيل في أوائل الثمانينات واشتهر من خلال مسلسلات مثل «حارة نسيها الزمن» عام ١٩٨٨ وهو من تأليف هاني السعدي وإخراج سالم الكردي. حيث اشتهر آنذاك بالعبارة التي كان يرددتها في هذا المسلسل «كريستال وأصلي».

من أهم مسلسلاته: «الربيع المسافر» عام ١٩٩٤، و«حمام القيشاني» و«حارة الجوري» ٢٠٠١، و«آباء وأمّهات» ٢٠٠٢، و«الداية» ٢٠٠٣، و«كوم الححر»، و«خالد بن الوليد» ٢٠٠٧، و«الحوث» ٢٠٠٨، و«الزعيم» ٢٠١١.

لكنه قبل رحيله بسنوات، أكد في لقاءاته الصحفية أن «باب الحارة» هو المسلسل الذي أعاد اكتشافه، لكنه في الوقت نفسه لا يعتبره العمل الأفضل في الدراما السورية وليس هو النموذج الجيد عن البيئة الشامية إلا أنه يتميز بالتوليفة الجميلة التي يشتمل عليها.

وأرجع تألقه في المسلسل الشامي إلى نشأته في حارة «باب سرجة»، التي تعتبر رمزاً لتاريخ الحارة الدمشقية، وقال: إنه أخرج الكلمات التي تعلمها وتلقاها من خلال نشأته في حارة دمشقية في شخصية «أبو حاتم»، لذا كانت تلك الكلمات بمنزلة عامل النجاح الأساس الذي ساعد على تألقه.

مشروعه الشخصي

اقتحم الزعيم مجال التأليف الدرامي، فكتب «الآباء والحصرم»، و«حكاية من حارتنا»، و«سزاد»، و«حارة الجوري»، و«يوميات مواطن»، و«ظلال ورمال»، في حين كان يعتبر أن مسلسل «الزعيم» مشروعه منذ سنوات طويلة وهو عمل يتعلق به شخصياً وعلاقته بالشام.

في هذه الناحية يقول: «ليس طموحي أن أكون كاتباً إلا أنني أحب أن أعبر عما يجول في خاطري، وما أحب أن أوضح لبعض الناس ونقل العلاقات الاجتماعية في البيئة الشامية بصورتها الحقيقية».

الأعمال الشعبية

قام الزعيم بجمع معظم الأعمال الشعبية الشامية في كتاب صغير يحمل عنوان «المشاعل»، وقال: «ليس هدي من هذا الكتاب هو الربح المادي أو هدي بأن أطلق على نفسي شاعراً وإنما هدي أن أغني المهتم بالأعمال الشعبية بكتاب صغير يستفيد منه».

وأوضح أن فكرة تدوين كتاب يحتوي على الأعمال الشعبية الشامية والزغاردية وأدبته بعد اكتشافه وضعف الإنتاج السوري الخاص بالأعمال الشامية، فقرر أن يؤلف كتاباً يضم عدداً من الأعمال الشامية.

الفيلم متعدد السطوح ويمكن قراءته من عدة زوايا.

لا أنحن إلا للموهبة

قرأت مرة في رواية (عندما يُولد عبقرى في العالم يمكن أن تميز بهذه العلامة – يتناثر الحفقي ضدهم).. كانت الأم الأثنى. المرأة، هي التي تقود المجتمع البشري منذ آلاف عام. كلمة كلاسيكي في مجتمعنا يساء استخدامها، نحن نخطئ بين الكلاسيكي والتقليدي. بيتوفون موسيقا كلاسيكية ولكنها ليست تقليدية. السينما السورية، التحدي الأساسي الذي تواجهه هو (المال). فيلم أجنبي يكلف ٣٠٠ مليون دولار، يعاد ما أنفقته التلفزيون والسينما في سورية منذ التأسيس. مسلسل سقف العالم كلف ٣ ملايين دولار. أي كلفة تصوير دقيقة من بعض الأفلام في الغرب!

الفن وجهة نظر، وغالباً ما تكون شخصية في رواية أو قصيدة أو قصة أو في السينما هي وجهة نظر، لكنها ليست نظرية الكلام بلحظة. الكلام فعل. بالدراما هناك طرق عديدة للفعل، لغة الجسد، الكلام. الموسيقا قد تعبر عما يعجز عنه الجسد والكلام معاً.

النقد يساعد أحياناً الإبداع

وأمام الجمهور تمنت المخرجة من المبدع حسن م يوسف نصّاً لنقوم بإخراجها.



هنالك خلط بين المصور السينمائي والمخرج ولابد للسيناريو من اختصاصي على درجة من الاحتراف.

الكاتب الدرامي حسن م يوسف تناول في هذه الندوة المخرجة إيفا داود ومسيرتها العملية والحياتية والسينمائية، وقراءة هادئة شغيفة لفيلم سارق النور: كل إبداع يحتاج لزمان. سارق الضوء، سارق الشغف، كلمة سر لنوع البشري. الرومان كانوا يقولون الرجل (مان) يساوي شغفه.

العمل إذا دققنا نجد أنه منجم أفكار. قضية الأنوثة والذكورة والحب والتملك يدعونا لكي نفتح أمامنا قوس قزح كي نختر اللون الذي يتفاعل مع مزاجنا.

أعتقد أن الفيلم يستحق الكثير من التامل.

الأجنبي، هنا يمكن السؤال. أنا أنام والحلم، والحلمي يتحدث بلغتي العربية، على حين ابنتي تنام وتحلم بالأميريكي لأنها ولدت هناك.

أؤمن بالصوتيات والموسيقا

الورق الجيد أي (النص) يجلب لك الناس الراغبين.

لم توجه لي دعوة للعرض في سورية إلا من هذا المهرجان. البطل آدم هو ذكر وليس (رجلاً) هو غير أخلاقي. وضع. وقح. في داخله سواد قاتم.

هناك في الكون (٧٣) حالة متشابهة يمكن تناولها في أي عمل ولادة. حب. خيانة. حزن. خوف. فخر. موت.... لكن كيف يتلقاها المشاهد العربي، وكيف يتلقاها

(التخصص)..